مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

Verbal Paradox in Andalusian Poetry – the Sixth Century poetry as a Model

Ahmed Rafa'a Bedewi

AL–Anbar university –Faculty of Education for Human Sciences.

Email. ahm20h2007@uoanbar.edu.iq – 07819526335

Prof. Latif Mahmoud Mohamed

AL–Anbar university –Faculty of Education for Human Sciences.

Email : Latef.moh@u0anbar.edu.iq

Abstract.

This research aims to study the phenomenon of verbal paradox in the poetry of sixth century as one of the artistic means that had a great impact in creating amazement and breaking the horizon of expectation for the recipients . It commonly possesses the verbal connotations intended for contradictory connotations ،which made this Poetry is a wide field for new readings. It would reveal the richness of the poetic text and its linguistic nature. This study was represented by an introduction ،an introductory threshold ،and two sections. In the introductory threshold, the researchers presented a brief overview of the concept of paradox linguistically and idiomatically, and what is verbal paradox means. As for the first topic, we dealt with the paradox of antagonism. The other topic is the paradox of anaphora, as they are among the most prominent forms of verbal paradox in this poetry. In conclusion ،we mentioned the most important results that we reached in this

studwy .

Keywords: (paradox ،antonym ،alliteration)

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

المفارقة اللفظية في الشعر الأندلسي – القرن السادس الهجري أنموذجاً

م.م أحمد رافع بديوي
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الأنبار .
رقم الهاتف و الايميل/ ٠٧٨١٩٥٢٦٣٣٥ : ahm20h2007@uoanbar.edu.iq
أ.د لطيف محمود مُحَمَّد الغريري
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الأنبار .
رقم الهاتف والايميل/ Latef.moh@uoanbar.edu.iq

الملخّص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة المفارقة اللفظية في الشعر الأندلسي في القرن السادس الهجري، بوصفها إحدى الوسائل الفنية التي كان لها أثر كبير في صُنْع الدهشة وكسر أفق التوقع لدى المتلقي بفضل ما تمتلكه من مدلولات لفظية يُقصد بها مدلولات مناقضة، الأمر الذي جعل هذا الشعر مجالاً رحباً لقراءات جديدة من شأنها بيان ثراء النص الشعري وماهيته اللغوية، وقد تمثلت هذه الدراسة بمقدمة وعتبة تعريفية ومبحثين، إذ قدمنا في العتبة التعريفية نبذة موجزة عن مفهوم المفارقة لغة واصطلاحًا وماهية المفارقة اللفظية، أمّا المبحث الأول فتناولنا فيه مفارقة التضاد، والمبحث الآخر مفارقة الجناس بوصفهما من أبرز أشكال المفارقة اللفظية دورانًا في هذا الشعر، ثم خاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: (المفارقة، التضاد ، الجناس).

المفارقة اللفظية في الشعر الأندلسي – القرن السادس الهجري أنموذجاً

م.م أحمد رافع بديوي
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الأنبار .
أ.د. لطيف محمود مُحَمَّد الغريري
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الأنبار .

المقدمة

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيباً مباركاً فيه ، وأفضلُ الصلاةِ وأتم التسليم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدٍ(صلَّى الله عليه وسلَّم) وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فإنّ المفارقة اللفظية إحدى الوسائل والأساليب الفنية التي اعتمدها شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري في بناء نصوصهم الشعرية ،مما أعطاها سمات أسلوبية خاصة جعلتها مجالاً خصباً لقراءات جديدة بفضل ما تشتمل عليه هذه الظاهرة من حقول دلالية قدّمت مدلولات لفظية يُقصد بها مدلولات مناقضة، ومن ثم نجد أنّ دراسة هذه الظاهرة من أبرز أشكالها أنها ستعطي فرصة لاستجلاء هذا الشعر واستنطاقه ، لقد برزت المفارقة من بين المفاهيم الحديثة في النقد ، فوجدت لها مكاناً رحباً تحت مسميات أخرى مختلفة كالمفاجأة والتوقع والانتظار الخائب أو المحبط والفجوة أو الفراغ والصدمة ومسافة التوتر وأفق التوقع[١] وغيرها، ومن ثم تبوأت المفارقة منزلة مهمة في الدراسات النقدية الحديثة؛ لدورها في إبراز الوجه الجمالي والدلالي للنصوص الشعرية، ومن هنا كانت لنا هذه الوقفة مع أبرز أشكال المفارقة اللفظية في الشعر الأندلسي في محاولة لإبراز عناصر الإبداع التي توافرت في هذا الشعر، وقد جاءت هذه الدراسة متمثلة بعتبة تعريفية قدمنا فيها نبذة موجزة عن مفهوم المفارقة لغة واصطلاحًا، وماهية المفارقة اللفظية يليها مبحثان أحدهما تناولنا فيه مفارقة التضاد والآخر تناولنا مفارقة الجناس، ثم أعقبناها بخاتمة.

عتبة تعريفية:

المفارقة لغة:

تعد المفارقة من الأساليب اللغوية التي تبرز الوجه الجمالي والفني للأدب بشكل عام، وللشعر الأندلسي بشكل خاص، ولكي نفهم معناها بشكل جيد لابد من تقديم توصيف دقيق لها نستطيع عن طريقه الولوج إلى أعماق أسرارها وجمالياتها الفنية. فالمتصفح للمعجمات اللغوية القديمة منها والمعاصرة يجد أنّ مفهومها المعجمي كان متبايناً من معجم إلى آخر، ففي كتاب العين جاء مفهومها من (الفرق): والفَرقُ خلاف الجمع" تفريقٌ بين شيئين فرقاً حتى يَفترِقا ويَتَفَرَّقا. وتَفَارقَ القوم وافتَرَقوا أي فارق بعضهم بعضاً"[٢].

وأما في أساس البلاغة وردت مادة (فَرَقَ) بمعنى "بدأ المشيب في مفرقهِ وفرّق في الطريق فروقا وانفرق انفراقا ، إذا اتجه لك طريقان أفرق : بيّن وضرب الله بالحق على لسان الفاروق"[٣].

(١) ينظر : معايير تحليل الأسلوب ، ميكال ريفاتير : ٥٦ . وقضايا الشعرية ، جاكبسون : ٨٣ .

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: (٥/ ١٤٧). (مادة فَرَقَ).

(٣) اساس البلاغة ، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد، الزمخشري جار الله : (٢/ ٢٠) .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وفي مختار الصحاح جاءت كلمة (فَرَقَ) بمعنى "فرَقَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَفُرْقَانًا أَيْضًا. وَفَرَّقَ الشَّيْءَ تفريقا وتفرقة فَانْفَرَقَ وَافْتَرَقَ وَ تَفَرَّقَ : أَخَذَ حَقَّهُ مِنْهُ بِالتَّفَارِيقِ، والفرقة الاسم من القول : فرقة مفارقة ، والفرقان ، القرآن وكلما فُرِّقَ به بين الحق والباطل"(١).

في حين نجد في لسان العرب أنّ لفظة (المفارقة) مأخوذة من الجذر الثلاثي للفعل المجرد (فَرَقَ)، يُقال: (الفرق) خلاف الجمع، وفارَقَ الشيءَ مُفَارقةً وفِرَاقاً: أي بايَنَهُ. وتَفَارق القومُ: أي فَارَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وفَارَقَ فُلانٌ امرأَته مُفَارقةً وفِراقاً: بايَنَها، فالمفارقة كمفهوم معجمي على صيغة (مفاعلة)، والفرقان هو القرآن، كما يطلق على كل ما فرّق به بين الحق والباطل(٢)، ومنه نفهم أنَّ (فرق) تأتي بياناً لكلمة الحق، وذلك معنى آخر يتناسب مع المعنى الأول الذي هو (التفريق).

وفي المعجمات اللغوية المعاصرة جاءت كلمة (فرق) على معانٍ مختلفة، ففرق ويفرق فرقاً وفرقاناً فهو فارق والمفعول مفروق. فهو فرق بين المتشابهين: ما بين أوجه الخلاف بينهما، وفرق الشيء، أي: قسمه. وفرّقت أسنانه: تباعدت. والتفرقة العنصرية: نزعة سياسية غير مشروعة تفرق بين الأجناس على أساس اللون والجنس. والتفريق: نص قضائي ينهي علاقة الزواج، طلاق بحكم القضاء غير رجعي(٣). ومن ثم فهي تعني التفريق بين شيء وآخر.

وقد وردت لفظة المفارقة في القرآن الكريم في آيات قرآنية مختلفة، ولكن ما ورد إنما هو" مشتقات الجذر (فَرَقَ)، وقد وردت اثنتين وسبعين مرّة في القرآن الكريم"(٤): ففي سورة المائدة جاءت لفظة المفارقة في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)(٥) فالمقصود هنا من قول القائل في الآية الكريمة: أي فرقت بين الشيئين (فصلت بينهما)، وكذلك من السور القرآنية التي جاءت

(١) مختار الصحاح ، زين الدين ابو عبدالله مُحَمَّد بن ابي بكر بن عبدالقادر : ٢٣٨ .
(٢) ينظر: لسان العرب مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل: (مادة فَرَقَ).
(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. احمد مختار عبدالحميد عمر: مادة (فَرَقَ)
(٤) المفارقة في الشعر العربي الحديث (أمل دنقل، سعدي يوسف، محمود درويش نموذجاً)، ناصر شبانه: ٤٨ .
(٥) سورة المائدة : ٢٥ .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فيها لفظة فَرَقَ قوله تعالى : (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا)[١] تبين لنا أنّ المقصود من هذه الآية هو بيّناه وأحكمناه.

وعن طريق ما تقدم يتبين لنا أنّ المعجمات العربية قديمها وحديثها اتفقت على أنّ المعاني اللغوية للفظة (المفارقة) تدور في دائرة الترادف؛ فلا تخرج في حقيقتها عن معاني: الفصل، والتباعد، والتباين، والتمييز، والظهور، والوضوح.

المفارقة اصطلاحاً:

يعد مفهوم المفارقة من المفاهيم التي تتطور وتتغير من عصرٍ إلى آخر ، لذلك لا يمكن الإمساك بمفهوم نهائي لها ، فهو غامض ومتداخل مع كثير من العلوم كالفلسفة والاجتماع والأدب ، فكل منها نظرت إليها من زاوية معينة، ومن ثم فهي متعددة الأشكال ، وهي في هذا اليوم لا تعني مما " كانت تعنيه في عصور سابقة، ولا تعني في قطر بعينه كل ما يمكن أن تعنيه في قطر آخر، ولا في الشارع ما يمكن أنْ تعنيه في المكتب، ولا عند باحث ما يمكن أنْ تعنيه عند باحث آخر، فالظواهر المختلفة التي تطلق عليها المفارقة قد تبدو ضعيفة الارتباط ببعضها جداً"[٢].

ولمّا كان الاهتمام في هذه الدراسة منصبًّا على مجال الأدب والنقد، فإننا سنقتصر على تناول مفهومها في هذا المجال، إذ يقول ميويك المفارقة هي "طريقة في الكتابة تريك أنْ تترك السؤال قائما عن المعنى الحرفي المقصود: فثمة تأجيل أبدي للمغزى. فالتعريف القديم للمفارقة– قول شيء والإيحاء بقول نقيضه – قد تجاوزته مفهومات أخرى؛ فالمفارقة قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرا واحداً، بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيّرة "[٣].

وترى (نبيلة إبراهيم) أنّ المفارقة عبارة عن لعبة لغوية ماهرة وذكية يتحكم بها طرفان، هما: صانع المفارقة، وقارئ المفارقة، وذلك لأنّ صانع المفارقة يقدم النص بطريقة تستثير القارئ، وتدعوه إلى نبذ معناه

(١) سورة الاسراء :١٠٦ .

(٢) موسوعة المصطلح النقدي المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة: ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه : ١٦١.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

الحرفي واستبعاده، وذلك لأجل إبراز المعنى الخفي، الذي كثيرا ما يكون المعنى المضاد للمعنى للظاهر، موصلاً القارئ بهذه الطريقة إلى المعنى الذي يرتضيه، ليستقر عنده[١] .

وإذا كانت المفارقة تقوم في حقيقتها على الاستعمال اللغوي الذكي الذي يقوم بها صائغ لها امتاز بالذكاء، والدقة في توظيف الدلالات اللغوية في سياقات مناسبة، ومتلق حصيف لا يقع فريسه للاستعمال المرواغ (غير الظاهر) للغة، فإنّ (سيزا قاسم) ترى أنها تمثل التعبير غير المباشر عن موقف ما قائم على التورية؛ فهي بذلك تُعدُّ أحد الأشكال البلاغية التي تشابه الاستعارة في (ثنائية الدلالة)[٢].

وهكذا نجد المفارقة عبارة عن: "تناقض ظاهري، لا يلبث أن نتبين حقيقته، وهي ذات أهمية خاصة، بحكم أنها لغة شاعرة، لا مجرد محسن بديعي"[٣]، وفي تعريف آخر للمفارقة نرى انها "بادئ ذي بدء تعبير بلاغي، يرتكز اساسا على تحقيق العلاقة الذهنية بين الالفاظ أكثر مما يعتمد، على العلاقة النغمية أو التشكيلية"[٤] وهذا يدل على أنها تقوم على العلاقة الموجودة ما بين هو داخلي وما هو خارجي أكثر من أنْ يكون اعتمادها على الشكل الجمالي .

بمعنى أنّ المفارقة قد تكون نتيجة التشكيل اللغوي الذي يتمثل بها النصُ الشعري ، وهو تشكيل يشير بطريقة أو بأخرى إلى ما يفارق المعنى الظاهري للنص .

وقد يلجأ الأديب إلى المفارقة بوصفها إحدى الوسائل البلاغية التي يُعبِّر عن طريقها عن مواقفه وآرائه تورية لا تصريحاً، وإيماءً لا إفصاحاً، فهي بذلك تشكل للمتلقي (القارئ) حالة من الاستفزاز المنطوي على التناقض غير المعلن، إذ إنه: "يوهم المتلقي أنه يواجه موقفاً غير متسق، مما يدعوه إلى إنعام النظر فيه، ومحاولة سبر غوره، لينكشف له عالم من المفارقة والغرابة، فالمفارقة إذن، تقدم بهذا التناقض الظاهري آلية تعين المبدع على الانفلات من دائرة المباشرة والبساطة، والدخول في آفاق من الضبابية الجمالية، والشفافية البعيدة"[٥]. إنها قد تكون بمثابة "تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية، والمفارقة

(١) ينظر: المفارقة، نبيلة ابراهيم :١٣٢.

(٢) ينظر: المفارقة في القصص العربي، سيزا قاسم :١٤٣.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعد علوش: ١٦٢.

(٤) فن القص في النظرية والتطبيق ، نبيلة ابراهيم : ١٩٦.

(٥) فضاءات شعرية (دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل)، سامح الرواشدة: ١٣.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

طريقة الخداع الرقابة، حيث أنها شكل من الاشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة، فالمفارقة في كثير من الاحيان تراوغ الرقابة بينما تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قولا مغايراً "[١].

فالميدان الأساس لعمل المفارقة يقوم على كيفية التعامل مع اللغة الشعرية على أساس الشيء المتناقض أو المتضاد أو اختلاف المعنى بلفظة واحدة معتمدة على السخرية المرتبطة بالمفارقة وعن طريق الخطاب الفلسفي نجد أنّ المفارقة لعبة خطابية تتحدد بوساطة التلاعب بالألفاظ التي تعني نقيضه[٢].

وفي ضوء ما تقدم نستطيع القول: إنّ المفارقة نشاط فكري ملاصق للإنسان تكاد تكون أكثر اتساعا وشمولا من اجتماع معنيين في لفظة واحدة؛ المعنى الحرفي الظاهر، والمعنى الخفي المتواري الذي لا يدركه إلا الإنسان المبدع (صانع المفارقة)، والمتلقي الفطن الذي يدرك حقيقة المفارقة ، وبعبارة أخرى : هي قول شيء والإيحاء بنقيضه، وهو أسلوب لا يمكن أنْ تثبت فعاليته إلاّ عن طريق مبدع متأمل، ومتلق واع مدرك حقيقة المفارقة للكشف عن دلالات التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي في أعماق النص وفضاءاته البعيدة.

المفارقة اللفظية :

تعد المفارقة اللفظية من أكثر أنواع المفارقات ارتباطاً بالنصوص الشعرية، فهي تسهم في منح النص الشعري مزيداً من التماسك والقوة، فالمفارقة اللفظية في أبرز تعريف لها كما ترى (سيزا قاسم) هي: شكل من أشكال القول يُساق فيه معنى ما، في حين يكون المقصود منه معنى آخر يشتغل على المعنى البعيد الذي يحقق الدهشة لدى المتلقي، كثيرًا ما يكون مخالفاً للمعنى الظاهر[٣]، وإنّ المتأمل في هذا التعريف يجدها أعقد من هذا؛ لكونها تشمل على أكثر من عنصر أحدها: يتعلق بمقصد القائل، والآخر لغوي أو بلاغي هو عملية عكس الدلالة [٤]، ومن ثم يرى خالد سليمان أنها "نمط كلامي، أو طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مناقضاً أو مخالفاً للمعنى الظاهر"[٥]، وهي المفارقة التي تعتمد على معنيين متضادين معنى لغوي

(١) المفارقة في القصص العربي المعاصر، سيزا قاسم: ١٤٣.
(٢) ينظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، محمد عبد الشرقاوي:٩٣.
(٣) المفارقة في القصص العربي ، سيزا قاسم ، ١٤٤
(٤) المصدر نفسه :١٤٤
(٥) نظرية المفارقة ، خالد سليمان: ٦٨-٦٩ .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

ظاهر وواضح، من غير أنْ يكون معقدا وغامضاً، إذ له قوة دلالية مؤثرة، ومعنى خفي يعتمد على فطنة القارئ المبدع والمدرك لحقيقة المفارقة .

ومن هنا تقوم اللغة الشعرية "في أثر وجوهها الإبداعية على لعبة المفارقة. فالمفارقة تُميّز لغة الشعر من لغة التوصيل التقريرية، وعلى وفق ذلك يتباين هدفا اللغتين فإذا كان هدف اللغة التقريرية التوصيل، فإنّ هدف اللغة الشعرية هدفٌ جماليٌ غايته الإثارة وربما كان مضاداً يعمل على منع التوصيل"[١] .

وبناءً على ذلك نجد أنّ اللغة عندما تدخل في عملية الإبداع الفني تفقد مضامينها الواقعية، وتتحول إلى بنية محكومة بقوانين هذا الإبداع وتقيم على وفق علاقاتها به، ومن أبرز آليات خروج اللغة من واقعيتها التقريرية إلى بنية جمالية مؤثرة، وللمفارقة اللفظية في الشعر الأندلسي أشكال متنوعة، من أبرزها: مفارقة التضاد، ومفارقة الجناس .

المبحث الأول: مفارقة التضاد:

يعد التضاد واحداً من أبرز المظاهر الأسلوبية التي أسهمت في نمو الثورة اللفظية، واتساع التعبير عند العرب، وهو من الأساليب التي تشكل ركناً أساسياً في صنع المفارقة، وقد ورد في كتاب العين أنّ "الضِّد كلّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبَه، والسَّواد ضدُّ البياض والموتُ ضِدُّ الحياة، تقول: هذا ضده وضديده، والليل ضد النهار، اذا جاءَ هذا ذَهَبَ ذاكَ، ويجمع على الأضداد"[٢].

وقد جاء في الصحاح أنّ: "الضد واحد الأضداد ... وقد ضادَّه وهما متضادان، ويقال: لا ضد له ولا ضديد له، أي لا نظير له ..."[٣]. فيما ورد في لسان العرب أنّ "ضد الشيء: خلافه، وقد ضادَّه وهما متضادّان، يقال: ضادَّني فلان إذا خالفك، فأردْت طولاً وأراد قصراً، وأردْت ظلمة وأراد نورا، فهو ضدك وضد يدك"[٤]، ومن المعنى اللغوي نستقي أن التضاد من الضدية بمعنى الشيء وضده أي: خلافه.

(١) المفارقة في شعر الأعمى التطيلي ، م. اوراس سلمان كعيد ، م. م اعتدال سلمان عربي : ١٤٤٤ .
(٢) كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (٦/٧)
(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : ٦٧٣.
(٤) لسان العرب، مادة (ضدد).

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

أمّا التضاد في الاصطلاح فهو لا يختلف كثيرا عن التعريفات اللغوية التي عرفها العلماء، فقد عرفه أبو الطيب تعريفاً دقيقاً إذ أزاح عنه كل إبهام، وذلك في قوله "وضد كل شيء ما نافاه نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن . وليس كل ما خالف الشيء ضدّاً له، ألا ترى أنّ القوة والجهل مختلفان وليس ضدّين، وإنما ضدّ القوة الضعفُ، وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أعمُّ من التضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدّين"(١).

وبعد تتبعنا لهذا الأسلوب في دواوين شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري لوحظ توظيف هذا النمط من المفارقة، إذ باتت نصوصهم الشعرية زاخرة بمفارقة التضاد، من مثل قول ابن الملح (ت٥٠٠هـ) في الشعر الصوفي وفكرة الحب الإلهي التي تعد من منطلقات الصوفية: [الطويل]

سقـــت لوعتـــي منـــه ومنهـــا مراشـــفٌ أطيـــبُ بحـــب الحـــرِّ والـــبرد موجـــودُ

منحتهمـــــا أوقـــــات ليلـــــي وبينهـــــا لسـر الهـوى وقـتٌ إذا شـئت محـمودُ(٢)

فالشاعر في هذا النص يعتمد على أسلوب التضاد لبيان المفارقة في المعنى، وهو استعمال له غاية محددة وقصد مختلف؛ ففي تشكيل (اطيبُ بحب الحرِّ والبرد موجودُ) اشتغال على المفارقة، فاستعمل (الحر والبرد) كثنائية ضدية، إذ ظاهر الكلام أنه في الغزل ووصف المحبة.

لكن المفارقة تتجلى في كونه رمزاً عن الحب الإلهي وتعلق المخلوق بالخالق (عزّ وجل)، ولاسيما أنّ الحب الإلهي هو خروج الحب الإنساني من المعاني المعروفة التي شاعت وانتشرت وكانت خاصة بالإنسان والقول به وتوجيه الخطاب له، إلى معاني وصف المحبة والقرب من الله (سبحانه وتعالى)، يقول المستشرق تور آندريه في طبيعة هذا الحب وتأثيره على الصوفية: "وبنفس الأسلوب وبذات الصور يصف الشعراء الصوفيون ما يعانون من مكابدة، يصفون كمال الحب الإلهي الذي يضطرم في سويداء قلوبهم ناراً محرقة، تهد أجسامهم وتستهلك قواهم. إنّ الصوفيين أيضاً من أولئك الأسرى الذين يقضون نحبهم إذا لم يحبوا"(٣). فالشاعر عن طريق الثنائية (الحر – البرد) حقق المفارقة يمكن ملاحظتها المتلقي عن طريق مفردتي (الحر) و(البرد) المتضادتين، وهما

(١) الأضداد في كلام العرب، عبدالواحد بن علي الحلبي أبو الطيب اللغوي : (١–ب).

(٢) شعر ابن الملح أبي بكر مُحَمَّد بن اسحاق اللخمي: ص ٣٢٤ .

(٣) التصوف الإسلامي، تور آندريه، ترجمة: عدنان عباس علي، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا، ط١، ٢٠٠٣م: ص٢٣١.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

مفردتان تشيران إلى حالتي الاتصال والانقطاع التي يمكن أنْ يعيش فيها الشاعر مع الله جلَّ وعلا، وقد يكشف التأمل في البيت الأول عن حالة الشعور بحضور الاتصال مع المعشوق، وهو حضور يقابله غياب لهذا الاتصال الذي تكشفه عبارة (والبردُ موجودُ).

إنّ وصف هذا الحب هو جزء من الكمال الذي يسعى إليه الصوفي، وفي الوقت نفسه نقل لحالة المحبة التي تعتلج في داخله، فالتجربة النفسية "لا تستغل الترابطات والاستجابات الإيجابية فقط، وإنما تركز، أيضاً على الاستجابات السلبية. وقد يكون الطابع العام للصورة هو أنها تفصل بين هذين النمطين من الاستجابات: بمعنى أنّ الصورة الواحدة تركز على واحد من النمطين وبحسب، لكنّ ثمة صوراً توحد بين النمطين وتستغل التفاعل بينهما"[(١)]، ومن ثَمَّ يتجلى صراع بين شيئين متضادين يشكل كل منهما حضوراً في تجربة الشاعر ويعملان على إيجاد نوع من المفارقة التي يمكن أنْ يتحسسها القارئ وهو يتجول داخل مسارات النص وبنائه . ومن التضادات الأخرى ما نجده في نص ابن اللبانة الداني (ت٥٠٧هـ) الذي ساقه بحق المعتمد بن عباد حينما نقل أسيراً على الجواري، إذ نجد استعمالاً واضحاً للتضاد اللغوي الذي صنع المفارقة في المعنى: [البسيط]

أضحتْ مكسرةً أرعاطُ أسهمهم ... وأسهم الدهر فيهم ذاتُ أقصاد

ذلوا وكانت لهم في العزِّ مرتبةٌ ... تحطُّ مرتبتيْ عادٍ وشداد

كانوا ملوكاً ملوك الأرض فانصرفوا ... ومالهم حومة فيها ولا ناد

حموا حريمهم حتى إذا غُلبوا ... سيقوا على نسقٍ في حيل مقتاد

تبدلوا السجن بعد القصر منزلةٌ ... وأحدقوا بلصوص عوض أجناد[(٢)]

إنّ التجربة التي تكشف عنها هذه الأبيات تتضمن حضوراً لهيأتين أو صورتين ، ترتبط الأولى منها بالماضي ، فيما ترتبط الثانية بالحاضر . ونتج عن كل هيأة منها مجموعة منها مجموعة من الصور ، ويكشف

(١) جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٤م، ٤٩.

(٢) ديوان ابن اللبانة الدايني –مجموع شعره ، جمع وتحقيق : الاستاذ الدكتور محمد مجيد السعيد: ٥٩–٦٠.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

النظر فيها عن حالتين متناقضتين عاش فيهما الشخصُ المعني بهذه الأبيات .وبحضور هاتين الحالتين يقدم النص مفارقة يستشعرها القارئ وهو يتخيل في ذهنه وضعين متناقضين تماماً ، وضعان تكشف عنهما بنياتٌ لغوية دالّة: (الذل / العز) و (ملوك / مالهم حومة) و(حموا / غلبوا) و (قصر / سجن) و (جنود / لصوص).

إنّ النظر في تلك الثنائيات يشير إلى حالة من التحول والانتقال بين أمرين متناقضين ، شكل كلٌّ منهما حضوراً في ذهن المتلقي ، فصنعا بذلك مفارقة يمكن التنبّؤ بهما ابتداءً من أول جملة لهذه الأبيات : ((أضحتْ مكسرةً أرعاطُ أسهمهم)).

وهي مفارقة رسمت مشهداً مأساوياً لما آل إليه مصير المعتمد وهو ينتقل من حال إلى حال آخر مناقض .

إنّ المفارقة – وهي تعتمد على بنية التضاد – أسهمت في تقديم تجربة موضوعية وجمالية لها أبعاد ذهنية ونفسية لا يمكن إغفالها من القارئ. وهكذا نجح الشاعر في إثارة المتلقي وجعله يعيش في التجربة الشعرية ، فالأديب عن طريق أدبه يستطيع "أنْ يستثيرنا بأنْ يقدم في شكل رمزي غالبية رغباتنا الأساسية، بمعنى أنّ القارئ يعيش مرة أخرى أهم تجاربه الخاصة بمساعدة الرموز الشعرية"(١).

وقد عمد الشاعر ابن حمديس الصقلي (ت٥٢٧هـ) إلى استعمال التضاد في وصف سرية من المسلمين خرجت إلى بلاد الروم ، إذ يقول: [الطويل]

تَخـــرْق فيهـــا لمـــعُ بـــرقٍ كـــأنّما ... يَشُـــب ويَخْبُـــو مـــن سنَـــاهُ ســـراجُ

علـــت خيلُنـــا منهـــا جليـــداً فلـــم يُـــتَحْ ... بنـــا للعـــدى مـــن عـــدوهن عجـــاجُ(٢)

التأمل في هذين البيتين يريك أنّ النص اشتغل على المفارقة اللفظية القائمة على التضاد الذي يتجلى هنا في أكثر من هياة ، إذ يمكن للقارئ أنْ يلحظ تضاداً مباشراً متحققاً في قوله : ((يشبُّ / ويخبو)) وهما جملتان أسهمتا في إنتاج مفارقة على المستوى الحركي الذي حققه لمعانُ البرق . لمعانٌ يشبُّ مرةً ، ويخبو مرةً أخرى .

(١) موجز تاريخ النقد الأدبي، فيرنون هول، ترجمة: محمود مصطفى، وعبد الرحيم جبر: ١٦٩.

(٢) ديوان ابن حمديس، صححه وقدّم له ، الدكتور إحسان عباس : ٧٥.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

إذا كان التضاد قد سيق داخل البيت الأول على نحو مباشر وواضح، فإنه بإمكان القارئ أنْ يكشف تضادات أخرى يمكن تحديدها بناءً على تأويل البيت الثاني واكتناه أبعاده الدلالية، فثمة ثنائيات ضدية قد حققت حضورها على المستوى اللساني :

((علتْ / لم يُتَح)) و ((خيلُنا / للعدى)) و ((جليداً / عجاج)) إنّ النظر في هذه الثنائيات يكشف عن معنى (الظفر) والانتصار الذي حققته هذه السرية ، يقابله معنى (الهزيمة) الذي لحق بالروم ، وذلك أنّ جملة ((علت)) تفيد دلالة التمكن والقدرة ، فيما تشير جملة ((لم يُتح)) إلى دلالة عدم التمكن وإلى غياب القدرة، إنَّ التضاد مخالفة " والمخالفة تغدو فاعلية أساسية يتلقاها القارئ عبر كسر السياق والخروج عليه" [(١)].

فالتضاد قد " يتصل بمسوغ الإثبات أو النفي بالمتكلم أو المبدع اتصال تلاحم ذا طبيعة انفصالية في الظاهر تتجسد في شكل صياغي مميز لكن هذا الانفصال لا يلغي انتماء الصياغة لمبدعها ذلك أنّ جملة التعامل اللغوي منشؤها الحركة النفسية من ناحية والمدرك العقلي من ناحية أخرى" [(٢)]. وتتواصل فاعلية التضاد عند شعراء الأندلس بوصفه عنصراً أساسياً في إنتاج المفارقة، ونجد مثل ذلك عند الشاعر عبد المجيد بن عبدون (ت٥٢٩هـ) في قصيدته التي رثى بها ملك بني الأفطس، إذ قال : [البسيط]

الـدَهـــرُ يُفجِـــعُ بَـــعدَ العَـــينِ بِالأَثَـــرِ فَمـــا البُـــكاءُ عَلـــى الأَشبـــاحِ وَالصُـــوَرِ

أَنهـــاكَ أَنهـــاكَ لا آلـــوكَ موعِـــظَةً عَـــن نَـــومَةٍ بَـــينَ نـــاب اللَيـــثِ وَالظُفـــرِ

فَالـــدَهرُ حَـــربٌ وَإِن أَبـــدى مُســـالَمَةً وَالبيضُ وَالسودُ مِثلُ البيضِ وَالسُمرِ [(٣)]

إنّ تأمل القارئ في هذه الأبيات الثلاثة يتيح له إمكانية الكشف عن حضور التضاد . ولمّا كان التضاد سمة تارة في تفكير الذات وثقافتها، فإنّ ذلك يعين على تجسّده داخل النصوص الشعرية على نحو

(١) جماليات الأسلوب والتلقي دراسة تطبيقية، موسى ربابعة : ١٤٨ .
(٢) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، محمّد عبد المطلب:١٨١.
(٣) ديوان عبدالمجيد بن عبدون اليابري (الشعر والنثر) :١٣٩.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

مقصود أو غير مقصود، وبشكل مباشر يدركه القارئ بوضوح أو بشكل غير مباشر يستنتجه القارئ بالتأمل والنظر.

وبناءً على هذا يمكن ملاحظة التضاد بسهولة في البيت الثالث، (حرب/ مسالمة) و (البيض / السود) و(البيضِ / السمر) وهو تضاد تراكم على نحو يستوقف القارئ ويدعوه للتأمل .

إذا كان هذا التضاد قد شكّلَ حضوراً واضحاً، فإنّ البيت الأول قد تضمَّنَ تضاداً هو الآخر، وهو تضاد يمكن أنْ يدركه المتلقي عن طريق استحضار البعد الدلالي لمفردات هذا البيت، ونعني بهذه المفردات (العين/ الأثر)، فـ(العين) تتضمن دلالة ((الحضور))، فيما تشير مفردة (الأثر) إلى دلالة ((الغياب)) وهذا التناقض فيما بين الدلالتين أسهم إلى حد ما في صنع المفارقة في هذه الأبيات.

إنَّ نوعي التضاد: المباشر وغير المباشر أنتجا مفارقةً ارتبطت بـ(الدهر) الذي هو موضوع هذه الأبيات. فالدهر في البيت الأول يُفجِع بسبب بطشه وإطاحته بالإنسان وينقله من حالة الحياة والحضور إلى حالة الموت والغياب. ثم يعود الدهرُ نفسه في البيت الثالث بوصفه حرباً في أصله وحقيقته ، وإنْ بدا مسالماً في ظاهره .

شكل التضاد عنصراً فاعلاً في بناء قاعدة المفارقة في المعنى عن طريق ما توفره اللغة من حيوية ، والثنائيات الضدية من صور هذه الحيوية، وهكذا شكلت المفارقة في الشعر الأندلسي انفتاحاً لمعانٍ أخرى غير المعاني الظاهرة، وهذه المعاني المتضادة لا تظهر بوضوح وانما تحتاج في كثير من نماذجها إلى التأويل لمعرفة المغزى من استعمالها.

المبحث الثاني : مفارقة الجناس :

يعد الجناس فناً من الفنون البلاغية التي تندرج في ضمن علم البديع اللفظي، وهو في الاصطلاح " تشابُهُ لفظين في النطق ، واختلافهما في المعنى ... ويقال له التجنيس والتجانس ، والمجانسة "[(١)] ، وهذا الفن " ضرب من ضروب التكرار المؤكد للنغم عن طريق التشابه الكلي أو الجزئي في تركيب الألفاظ ، فهذا التشابه في الجرس يدفع الذهن إلى التماس معنى تنصرف إليه اللفظتان بما يثيره من انسجام بين نغم التشابه اللفظي

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف السيد احمد الهاشمي :٤٢٤ .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

ومدلوله على المعنى في سياق البيت "[١]، وإنّ الذي يميز هذا الفن البديعي عن التكرار اللفظي هو أنّ معنى اللفظتين في الجناس تختلف عن ما هو عليه في التكرار اللفظي الذي يتطابق معنى اللفظ المكرر وقد تكون المجانسة في المعاني بـ"اشتراكهما في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق "[٢].

فالبحث عن الجمال في النظم والانسجام في تآلف الحروف هي الغاية من الجناس، فهو " الذي يكسب الكلام قيماً جمالية لما يضيفه إلى النسق اللغوي من انسجام وتناسب وتآلف في البناء الصوتي يثري المعنى ويغني الصياغة اللغوية "[٣].

وقد كثر استعمال هذا الفن البديعي لدى شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري بوصفه وسيلة مهمة من وسائل صنع المفارقة في نصوصهم الشعرية ويسهم في إثارته لغرض البحث عما وراء الألفاظ المتجانسة في النصوص الشعرية، ومن يطالع دواوين شعراء هذه الحقبة يجد أنهم تعاملوا مع هذا اللون البديعي بنوعيه ، كما في قول السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) في الحنين إلى الديار المقدسة:

[الطويل]

لَـــئِنْ فَـــاتَني مِنْـــكِ الـــذي أنَا رَائِـــمٌ ... فَـــإِنَّ هَـــوَى نَفْســـي عَلَيْـــك لـــرائمُ

وإنْ يَحْمـــني حـــامي المَقَـــادير مُقْـــدماً ... عَلَيْـــك فَـــإِنّي بالفُـــؤَادِ لَقَـــادمُ[٤]

فالعلاقة بين (رائمٌ) و(لرائمُ) تتجاوز مستوى كونها علاقة صوتية بينهما لما يسمى بالجناس، إلى مستوى آخر يبدأ بحنين وشوق النفس عن طريق القرب، فاستعمل الشاعر الجناس لتحقيق المفارقة عن طريق كلميين تتشابهان بالحروف وعدد تشكيلها، وتختلفان بالجذر والأصول، وهذه المفارقة جاءت على وفق مفهوم " آلان وردي " الذي قال " إنّ المفارقة ليست رؤية معنى حقيقي تحت آخر زائف ، بل هي مسألة رؤية صورة مزدوجة على صفحة واحدة "[٥]

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د– ماهر مهدي هلال:٢٨٤ .

(٢) نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ت٣٣٧هـ: ١٦٣ .

(٣) دراسات في المعاني والبديع، عبد الفتاح عثمان :١٧٤.

(٤) شعر السيد البطليوسي: ١٢٦.

(٥) المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق : ١٨ .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فالشاعر في هذه الأبيات جمع بين صورتين مختلفتين ، ففي الكلمة الأولى جاء قوله (رائمٌ) ليعطي دلالة: طالبٌ ومُؤملٌ للوصول إلى الديار المقدسة التي هي هدف كل مسلم ومبلغ منتهاه، منطلقاً في تشكيلها من مادتها اللغوية (روم)، التي من التقلبات اللغوية لها (رائم) المرتبطة بالرغبة والأمل في تحقيق ما تصبو له النفس من المجيء إلى الديار المقدسة.

وهذا من سمة الجناس التي تهدف إلى "أنْ تكون في الشعر معانٍ متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة، فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة... وأمّا المجانس فأنْ تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق "[١].

ثم في الكلمة الثانية جاء قوله (لرائم) محققاً الجناس مع الكلمة الأولى لكن المفارقة في اختلاف معناها عن الأولى مع تشابه الكلمتين، فتعني: مشفقٌ وخائفٌ باختلاف مادتها اللغوية وهي (رأم)، فبعد أنْ قدم معنى الرغبة في الوصول انتقل إلى معنى آخر مختلف على الرغم من ورود الكلمة نفسها ، وبذلك تحدث المفارقة لدى القارئ الذي يصطدم ، في أثناء قراءته للكلمة الثانية ، ببنية دلالية مغايرة ، وهي بنية تنقله على نحو مفاجئ من حالة ذهنية وفكرية إلى حالة أخرى .

وبهذا اختلف المعنى والحركات بين التعبير الأول والثاني، وبقي الموضوع والجانب الصوتي يجمعهما أي: ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك[٢]. وتظهر كذلك بنية المفارقة الجناسية في قول الأعمى التطيلي (ت٥٢٥هـ) إذ يصف فتاة كان يهواها: [البسيط]

رفقـــاً بقلـــبي يا قلـــبي فـــإنك قـــد أسكنت حيثُ الأسى في اللّب والجلدِ[٣]

فالبيت الشعري تضمّن جناساً تاماً عن طريق اللفظتين "بقلبي" و"قلبي" فاللفظة الأولى تعني هذا العضو الفاعل في حياة الانسان ، فيما تعني اللفظة الثانية ، بفعل بنائها على التشبيه البليغ، المحبوبة نفسها، وبفعل الاختلاف الدلالي فيما بين هاتين اللفظتين يكون القارئ قد خبر ذهنياً واقع المفارقة التي نقلته من

(١) نقد الشعر :١٦٢-١٦٣ .
(٢) ينظر :خزانة الأدب وغاية الأرب : ٣٦.
(٣) ديوان الأعمى التطيلي ; ٢٦٥.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

سياق المعنى الواقعي والمباشر إلى سياق آخر لا يخلو من سمات رؤية شعرية كشفت عن سكنة الشاعر من مشاعر إزاء المخاطبة، وهي مشاعر لم يكتفِ الشاعر بالتعبير عنها عن طريق لفظة "يا قلبي"، وإنما امتدت جملة النداء لتطال جملة خبرية جديدة "فإنك قد أسكنت حيث الأسى في اللب والجلد" والذي يتأمل هذه الجملة الخبرية الجديدة يجد أنها جملة ارتبطت على المستوى الدلالي بلفظة "يا قلبي" وهي اللفظة التي خلقت الجناس ، ومن ثمّ المفارقة في ذهن القارئ .

إنّ وظيفة الجناس لا تكمن في إنتاج المفارقة في ذهن القارئ فحسب، وإنما تدعم الشاعر في إمكانية" التخلص مما يثقل كاهله وتفكيره نهائياً وبالتالي يكون وفّر لبيته هذه الكميات الصوتية الداعمة للإيقاع الأساسي"[(١)]، ومن ثَمّ يكون لهذه الكميات الصوتية أثر فاعل في ترسيخ تجربة المفارقة وتعميق أثرها في تلقي خطاب الشعر وقراءته .

ومثل ذلك قول ابن حمديس (ت٥٢٧هـ): [الطويل]

وقطعي غولَ القفر في متن سابحٍ وخوضيَ هَوْلَ البحر في بطن سابحه[(٢)]

قثمة جناس ضمّه هذا البيت، غير أنه جناس غير تام هذه المرة، وهو جناس أنتجته اللفظتان "غول" و "هول "، فهاتان اللفظتان تتشابهان الاّ من جهة حرف واحد وهو (العين) و(الهاء)، واختلاف هذين الحرفين داخل متن اللفظتين أنتج اختلافاً في معنييهما، مما أسهم ذلك في إيجاد مفارقة لدى المتلقي.

إنّ القارئ إذ يقرأ لفظة "هول" فإنه لا يعدم أنْ يتحسس بالمفارقة الدلالية التي تحدثها هذه اللفظة، الأمر الذي يخذل أفق توقعه ويكسر ما كان ينتظره، فثمة فرق ما بين غول القفار وما يتبعه هذا الغول من مكابدات من جهة، وهول البحر وما يتضمنه من مخاطر تنذر بالمخاطر وربما بالموت من جهة أخرى. وربما تتجذر دلالة المخاطر الكبرى عن طريق شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور (في بطن) التي تفوق دلالتها وتتضاعف عما تعنيه شبه الجملة (في متن) .

إنّ البيت على الرغم من اعتماده على مجموعة من التقابلات (قطعي / خوضي) و (القفر / البحر) و (في متن / في بطن) لكنّ هذه التقابلات لا تنتج المفارقة لدى القارئ على نحو ما تنتجه لفظاً (غول)

(١) شعر الاستصراخ في الأندلس، جمع واعداد: عزوز زرقان: ٢٩٤.

(٢) ديوان ابن حمديس:٨١.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

و(هول) ذات البنية التجانسية. ومن صور المفارقة في الشعر الأندلسي ما جاء في ابن الزقاق البلنسي (ت٥٢٨هـ) وهو يمدح أبا عبد الملك بن مروان بن عبد العزيز: [السريع]

يـــرى العـــلا مِـــنْ خـــيرِ مـــا يُقْتَـــنَى والحمـــدَ مِـــنْ أفضـــلِ مـــا يُكســـبُ

فـاليُـــمْنُ عـــن يُمنـــاهُ لا ينثـــني واليُسْـــرُ عـــن يُسْـــراهُ لا يَعْـــزِبُ[١]

إذ ينطلق الشاعر من أسلوب المفارقة الجناسية في بناء تجربته الشعرية ، مستعملاً الجناس في البيت الثاني في موضعين، أحدهما في (اليُمنُ) و(يُمناهُ) والآخر في (اليُسرُ) و(يُسراهُ)، فالجناس الأول: اليُمنُ مقصود به الجود والخير والبركة، ويُمناهُ مقصود بها يده اليمنى.

فأراد الشاعر من ذلك أنْ يؤسس لصورة الممدوح وهي صورة قائمة على مفارقة لطيفة نتلمس فيها شيئاً من مخالفة لعرف الشعراء وذلك في ربط الكرم باليد اليمنى فقط فهي التي تعطي دائماً، ثم أعقب هذا الجناس بجناس آخر: فـ(اليُسرُ) مقصود بها الرخاء، و(يُسراهُ) مقصود بها يده اليسرى. مما أحدث لدى المتلقي مفارقة، قائمة على أسلوب الجناس الاشتقاقي الذي "يسمى الاقتضاب أيضاً ومنهم من عدّه أصلاً برأسه ومنهم من عدّه أصلاً في التجنيس: وهو أنْ تجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة"[٢].

إنّ التشكيل الذي اعتمده البيت الثاني يستوقف القارئ مرتين الأولى عند لفظة (يمناه) التي شكلت جناساً مع لفظة (اليمن) وهو جناس أنتج مفارقة لدى القارئ الذي ارتسم في ذهنه مفهوم اليمن والبركة والخير، ليقف في أثناء قراءته عند لفظة (اليمن) ذات الحروف والترتيب نفسيهما، غير أنها لا تحمل المفهومَ نفسه ، وإنما تعني اليد اليمنى .

أمّا التوقف الثاني فيكمن عند لفظة (يسراه) التي شكلت جناساً آخر مع لفظة (اليسر) ومن ثَمّ إنتاج مفارقة أخرى. ولا نشكّ في أنّ مجيء المفارقة الجناسية مرتين داخل متن البيت الواحد له وقع خاص ومضاعف لدى القارئ. ومن صور المفارقة الأخرى ما ورد في قول ابن عبدون (ت٥٢٩هـ) في قصيدته الرثائية المشهورة : [البسيط]

واســترجَعَت مــن بَـني ساســان مـا وَهَبَـت ولم تَـــــدَع لِبَـــــني يـــــونانَ مـــــن أثـــــرِ

(١) ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق: ٨٣.

(٢) حسن التوسل في صناعة الترسل: ١٩٢.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وألحَقَــت أُختَهــا طســماً وَعــاد علــى عـــــادٍ وجُـــرهُم منـــــها ناقـــص المِـــرَرِ[١]

فقد جانس الشاعر بين لفظتي (عادَ) و(عادٍ)، وهو جناس تام لاشتراك اللفظتين في الحروف واختلافهما في المعنى مما أحدث مفارقة في ذهن القارئ الذي يثار في تصوره دلالتان في لحظة قراءته للفظة (عادٍ)، ذلك أنّ المفارقة "ليس همها إلغاء معنى ظاهر لصالح معنى بعيد بقدر ما هي رؤية للمعنيين معاً في لحظة واحدة ، في بنية لغوية واحدة "[٢]، فكلمة (عاد) في الشطر الأول من البيت الثاني تعني الرجوع، وهي فعل ماض.

أما (عادٍ) في الشطر الثاني من البيت نفسه فهي اسم يدل على قوم من الأقوام وهي مذكورة في القرآن الكريم، فمهد لذكر قوم عاد بذكر الفعل الماضي (عاد)، وكأن الشاعر سعى إلى بناء مفارقة حينما أرسل إشارة سريعة قائمة على الاسترجاع (عادَ، عادٍ) للتذكير بحقيقة الدنيا التي لا تدوم على حال ولا تثبت على شكل، فالأقوام تسود ثم تذهب وهذا حال الدنيا.

زخر الشعر الأندلسي بمفارقات جناسية ، وبأشكال مختلفة فيرد منها الجناس الواحد ، وقد يرد جناسان أو ثلاثة جناسات ، وذلك بحسب الآلية التي يتبناها الشاعر في التعبير عن تجربته . ولا يعدم القارئ أنْ يتحسس بالفاعلية الكبيرة التي يؤديها الجناسان داخل البيت الشعري ، وتزداد هذه الفاعلية – على مستوى المفارقة – إذا ما تمّ توظيف جناسات ثلاثة داخل البيت الشعري على نحو ما وجدناه في نص ابن خفاجة . ونحن نظنّ أنّ تراكم المفارقة عن طريق تعدد الجناسات داخل البيت الشعري الواحد يشير إلى مدى الإسهام الواضح الذي تؤديه المفارقة في بناء التجربة الشعرية لدى الشاعر الأندلسي .

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة في شعر شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري ، نصل إلى خاتمة البحث التي نوجز فيها أبرز النتائج التي توصلنا إليها ، وهي :

(١) ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري : ١٤٠.

(٢) المفارقة في الشعر العربي الحديث : ٥٨ .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

١. أدت المفارقة اللفظية دوراً بارزاً في صياغة النص الشعري لدى شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري ، إذ إنها وضحت لنا مدى انسجام هؤلاء الشعراء وتوافقهم في إعطاء صفة تلك المفارقة على سطح نصوصهم الشعرية .

٢. تقوم المفارقة اللفظية على عناصر رئيسة تشكل بنية نظامها الداخلي ، من أبرزها وأكثرها دوراناً في هذا الشعر مفارقة التضاد ، ومفارقة الجناس .

٣. شكلت مفارقة التضاد انفتاحاً لمعانٍ أخرى غير المعاني الظاهرة ، دفعت في كثير من نماذجها إلى التأويل لمعرفة المغزى من استعمالها .

٤. تبنى الشاعر الأندلسي المفارقات الجناسية لغرض التعبير عن تجربته الشعرية من جهة ، وخلق بنية دلالية مغايرة من شأنها إحداث مفارقة في ذهن القارئ من جهة أخرى .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. اساس البلاغة ، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد، الزمخشري جار الله ، (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق : محمد باسل عيون اسود، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١ ،١٩٩٨ م.

٢. الأضداد في كلام العرب، عبدالواحد بن علي الحلبي أبو الطيب اللغوي(ت ٣٥١هـ) ، تحقيق عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٦٣م.

٣. التصوف الإسلامي، تور آندريه، ترجمة: عدنان عباس علي، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا، ط١، ٢٠٠٣م.

٤. جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٤م.

٥. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د– ماهر مهدي هلال ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، دار الحرية للطباعة – بغداد ، ١٩٨٠م .

٦. جماليات الأسلوب والتلقي دراسة تطبيقية، موسى ربابعة، دار جرير، عمان، الاردن، ط١، ٢٠٠٨م.

٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف السيد احمد الهاشمي ، تحقيق وشرح الدكتور محمد التونجي ، مؤسسة المعارف– بيروت – لبنان ، ط ٤ ، ٢٠٠٨م .

٨. دراسات في المعاني والبديع، عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

٩. ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق: عفيف محمود ديراني، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

١٠. ديوان ابن اللبانة الداني مجموع شعره، جمع وتحقيق: مُحَمَّد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢، ١٤٢٩م- ٢٠٠٨م.
١١. ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له: د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.
١٢. ديوان الأعمى التطيلي ، جمعه وحققه وشرحه الدكتور، محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب – لبنان، ط١ ، ٢٠١٤م .
١٣. ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه ، اعداد وتحقيق وتأليف : سليم التنير ، دار الكتاب العربي ، دمشق – سورية ، ط١ ، ١٩٨٨م .
١٤. شعر ابن السيد البطليوسي ، جمع وتوثيق ودراسة ، د. رجب عبد الجواد ابراهيم ، راجعه وقدّم له ، أزد محمود علي مكي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
١٥. شعر ابن الملح أبي بكر مُحَمَّد بن اسحاق اللخمي جمع ودراسة، محمود مُحَمَّد العامودي، مجلة الجامعة الإسلامية، مج٩، ع١، غزة، فلسطين، ٢٠٠١م.
١٦. شعر الاستصراخ في الأندلس، جمع واعداد: عزوز زرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) تحقيق : مُحَمَّد مُحَمَّد تامر ، ط دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٩.
١٨. فضاءات شعرية (دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل)، سامح الرواشدة، المركز القومي للنشر، إربد، ١٩٩٩م.
١٩. فن القص في النظرية والتطبيق ، نبيلة ابراهيم ، دار قباء للطباعة والنشر ، (د ط) .
٢٠. قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، مُحَمَّد عبد المطلب، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
٢١. قضايا الشعرية ، جاكبسون ، ترجمة : مُحَمَّد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٨م .
٢٢. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٣. لسان العرب مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ .
٢٤. مختار الصحاح ، زين الدين ابو عبدالله مُحَمَّد بن ابي بكر بن عبدالقادر ، (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق : يوسف الشيخ مُحَمَّد، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت – صيدا، ط٥، ١٩٩٩م.
٢٥. مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، محمد عبد الشرقاوي، مكتبة الزهراء، دار الجبل، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م .
٢٦. معايير تحليل الأسلوب ، ميكال ريفاتير ، ترجمة : حميد الحمداني، دراسات . سال، دار النجاح الجديدة – البيضاء ، المغرب ، ط ١، ١٩٩٣.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

٢٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. احمد مختار عبدالحميد عمر ،بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ،القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م .

٢٨. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعد علوش، دار الكتاب اللبناني، سوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

٢٩. المفارقة في الشعر العربي الحديث (أمل دنقل، سعدي يوسف، محمود درويش نموذجاً)، ناصر شبانه،: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٠. المفارقة في القصص العربي، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج٢،ع٢، فبراير/ مارس، ١٩٨٢م.

٣١. المفارقة في شعر الأعمى التطيلي ، م. اوراس سلمان كعيد ، م. م اعتدال سلمان عربي ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية ،العدد ٤٧ ، حزيران ٢٠٢٠

٣٢. المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق ، د . خالد سليمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط١ ،١٩٩٩م .

٣٣. المفارقة، نبيلة ابراهيم، مجلة فصول، مجلد ٧ ، العدد رقم ٣-١،٤سبتمبر، ١٩٨٧.

٣٤. موجز تاريخ النقد الأدبي، فيرنون هول، ترجمة: محمود مصطفى، وعبد الرحيم جبر.

٣٥. موسوعة المصطلح النقدي المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك،: ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، مجلد٤ ، ط١ ، ١٩٩٣م.

٣٦. نظرية المفارقة ، خالد سليمان ، مجلة ابحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات "، المجلد ٩ ، العدد ٢ ، ١٩٩١م.

٣٧. نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ت٣٣٧هـ ، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، د.ت.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.14